الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاوَنْدْ

المصير الأمريكي للشرق الأوسط

صورة الأميركي في خيال الناس تفتقد الوضوح والثبات ... إنها بشعة جدا في نظر العالم الثالث حيث يشكو الناس من ضيق ذات اليد في الوقت الذي يشهدون فيه كيف ينفق الأميركي الأموال التي يستخرجها من صناعته ومن الخامات التي يقع عليها في بلدان العالم الثالث ...

إنها صورة بشعة دون ريب حين يتسامع الملايين من أبناء أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية بأن الكلاب الأميركية تتمتع بمستوى من العيش لا يبلغه في العالم الثالث غير أصحاب الحظوظ السعيدة. وهي صورة بشعة أيضا لأن الأميركي يقدم نفسه إلى العالم وقد أحاطت به الأساطيل البحرية في كل بحار العالم والأساطيل الجوية التي تحمل القنابل النووية والمصانع العملاقة التي تزود هذه الأساطيل بكل ما تحتاج إليه من المؤن والذخائر ..

ثم تزداد صورته بشاعة حين تكتشف الأجيال الجديدة في العالم الثالث بأن ثرواتها مرهونة في مصارف أميركا وأسهم الشركات التي تشرف على حركة الصناعة العملاقة في تلك القارة.

ولا ننسى الوجه الأميركي البشع الذي تمتد يده عبر أكبر المحيطات وتجتاح خطواته كل مياه الكرة الأرضية حتى لكأنه يعايش كل شعب ويراقب كل حركة من حركات الدنيا من حوله، بينما تقف ملايين الناس في العالم الثالث وهي تنظر إلى شمال القارة الأميركية نظرة العاجز الذي تقصر يده عن أن تبلغ هذه القارة وتعجز قدمه عن الوصول إليها.

****

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا: info@RamadanLawand.com

الإجماع قائم على بشاعة الوجه الأميركي ... إنه القضية المسلمة في كل وسط من الأوساط .. كل الناس متفقون على وجود هذه البشاعة وإن اختلف هؤلاء الناس في اتخاذ المواقف التي تترتب على رؤيتهم لها. المتعاونون مع الأميركيين يأخذون بالرأي القائل : " اليد التي لا تستطيع عضها خذها وقبلها ".

والمعارضون للوجود الأميركي ينقسمون إلى فئات عديدة .. فئة تكره الوجود الأميركي ولكنها لا تفعل شيئا مقابل هذه الكراهية . وفئة تكره الوجود الأميركي ولكنها ترتمي بين يدي الوجود السوفياتي. وفئة ثالثة تكره الوجود الأميركي ثم تتوجه نحو الماضي وتخفي نفسها في طياته فكأنها تريد أن تعزل نفسها عن عالم الأحياء وعن جيل القرن العشرين. ثم تتعاقب فئات أخرى ولكل منها موقف خاص . إلا أن الجامع المشترك بينها وبين الفئات التي ذكرناها هو اجترار الكراهية وحسب.

****

ولننتقل الآن إلى الأميركي ذي الصورة البشعة. كيف يجد نفسه؟ وهل هو من البشاعة كما يعتقد الناس في العالم الخارجي؟

أول ما يلفت النظر أن الأميركي قد سجل خلال مائة عام ثلاثة انتصارات .. منها انتصاران عسكريان أولهما في الحرب العالمية الأولى وثانيهما في الحرب العالمية الثانية. أما الانتصار الثالث وهو أهمها واخطرها شأنا فهو انتصارها الاقتصادي الشامل في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة. لقد استطاع الاميركي أن يفوز في الحربين العالميتين لأن ظروف القتال قد جنبت ترابه الوطني أخطار الحربين .. ولأن اقتصاده كان من القوة والوفرة بحيث استطاع أن يزود الحلفاء بكل ما كانوا يحتاجون إليه من السلاح والمؤن للقضاء على الألمان وحلفائهم في الحربين معاً.

****

بعد الحرب العالمية الأولى شعر الأميركي أن دول أوروبا ولا سيما بريطانيا وفرنسا هي من القوة بحيث لن تمنحه فرصة للتحرك في العالم ولذلك لم يلبث حتى أحرج هاتين الدولتين بالنقاط الأربعة عشر التي جاء بها الرئيس الأميركي توماس ويلسن وطرحها على المتفاوضين في فرساي عام ١٩١٩م.

وبالرغم من فشل هذا العرض فقد استطاع الأميركي أن يقدم نفسه إلى دنيا ما بعد الحرب العالمية الأولى على صورة الملاك الذي يحمل إلى الشعوب رسالة الحرية والديمقراطية والانعتاق. وقد وقف من هذه الدنيا في شخص الرئيس ويلسون وكأنه يقول لمن يحب أن يسمع : " وماذا أفعل لكم ؟! العين بصيرة واليد قصيرة ". ثم عاد الأميركي إلى عزلته ينتظر الفرصة الملائمة ليخرج إلى الدنيا مرة أخرى ، وهو أقوة قوة وأقدر على صنع السلام على طريقته الخاصة.

والواقع أن الناس، ولا سيما ناس الشعوب الخاضعة للاستعمار الفرنسي الانجليزي كانوا يتمنون لو يحل الأميركي محل الفرنسي والبريطاني ويتعاملون معه .

****

ثم جاءت الفرصة الثانية بفضل الطموح الألماني الغبي .. والاستراتيجية الخيالية التي وضعها الفوهرر أدولف هتلر والتي كان يسانده فيها المهرج الكبير موسوليني.

وانتهت الحرب فوجد الأميركي نفسه سيدها وأيقن أنه لولا طائراته ودباباته وسفنه الحربية ومليارات الدولارات التي وزعها على الحلفاء مؤنا وذخائر لما كان في وسع حكام العالم التقليديين أن يحتفظوا بمواقع أقدامهم...

صحيح أن الانجليز والفرنسيين قد هزموا الألمان والإيطاليين لكن الصحيح أيضا أنهم كانوا من الاميركيين في هذا النصر كما يكون القريب الفقير المعدم من قريبه الغني.

كان انتصارهم العسكري تقابله هزيمة اقتصادية لم تلبث أمبراطورياتهم معها حتى تنهار جزءا وراء جزء وخطوة بعد خطوة.

وفجأة وجد الأميركي نفسه جالسا فوق القمة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لم يتمرد عليه غير المواطن السوفياتي . فلم يلبث الطرفان أن عينا حدود كل منهما في ضوء الإمكانات التي يتمتع بها كل منهما. وهما بالطبع بها الحجم المادي والسياسي والعسكري لكل منهما.

هكذا انصرف كل من العملاقين إلى طرائده وترك للآخر حق التصرف بالأرض والناس الذين يدخلون في مناطق نفوذه.

لكن هذا التقسيم لم يحل دون الاصطدام المسلح بين أنصار الطرفين بين فترة وأخرى في المجر وتشيكوسلوفاكيا ومن قبلهما في ألمانيا الديمقراطية الشرقية .

****

ومن الطبيعي أن يكون مصير الشرق الأوسط مصيرا أميركيا باعتبار أن بلدان هذه المنطقة كانت تابعة لحليفتي أميركا العجوزتين فرنسا وبريطانيا.

وكم كانت دهشة العربي في الشرق الأوسط عنيفة قاسية حين شهد التنافس الأميركي السوفياتي على زرع إسرائيل في أرض فلسطين..

وكم كانت خيبته شديدة بالنسبة للوجه الأميركي الذي انتصر على الوجه السوفياتي في معركة الانتماء الصهيوني .

من هنا بدأ الوجه الأميركي يربد ويتكدر .. لم يعد الأميركي في نظر العربي متمثلا في شخص الرئيس ويلسون صاحب النقاط الأربعة عشرة المشهورة بل أصبح متمثلا في شخص قرصان ينقض على السفن المبحرة أو الطائرة أو القوافل فوق اليابسة.

****

والسؤال الذي يتردد اليوم : هل صحيح أن وجه الأميركي قد أصبح بشعا بعد أن كان جميلا من قبل؟ أم أن الجمال والبشاعة وهمان من أوهام العربي؟ أم أن البشاعة قد اخفت نفسها حين كان الأميركي بعيدا عن أرض العربي ثم ظهرت حقيقتها بعد أن جاءت إلى هذه الأرض؟

الحقيقة أن الوجه الأميركي لم يتغير .. لكن الناس يصنعون له الصورة التي تتفق مع ميولهم وأوضاعهم الخاصة.

ولو أن العربي تصفح أي كتاب من كتب التاريخ الأميركي لتبين له أن قصة الولايات المتحدة التي بدأت بأول المهاجرين إلى القارة الجديدة حافلة بالدماء. يكفي أن شعبا قد أبيد كله تقريبا واعتقلت البقية الباقية منه في معسكرات كبيرة من قبل المهاجرين البيض الذين غادروا أوروبا يحملون معهم أحقاد المجتمعات الأوروبية ومشكلاتها المعقدة.

لكن العربي لم يفعل ..

إنه لم يحاول أن يقرأ التاريخ الأميركي لسبب بسيط ذلك لأنه لا يريد أن يواجه الحقيقة ... فمواجهة الحقيقة كانت تفرض عليه أن يعتمد على نفسه في مقاومة الاستعمار السابقة وفي تنمية مجتمعه . ولما لم يكن مستعدا لهذه المواجهة أصر على أن يحتفظ بأجمل السمات للوجه الأميركي .

****

أما الأميركي فلم يكن يحفل لشيء .. ولم يكن يبالي ما يصدر عن العربي . ولذلك لم يتردد في مساندة الصهاينة وفي فتح أبواب الشرق العربي أمامهم ضاربا عرض الحائط بكل الأعراف الدولية . فعل هذا لأنه لم يجد أمامه قيادات عربية مقاتلة .. بل وجد رجالا يتصرفون على طريقة الأرانب حين يأتيها الخطر من الخارج.

****

وليس هذا وحسب . فقد بقي الوجه الأميركي بعد يوم النكبة أشبه ما يكون بوجه الملك الذي تشتمه الرعية لكنها لا تلبث حين يمر موكبه في الشارع أن تصفق له. وفي أحسن الحالات أن تنصرف عنه في صمت. وها نحن اليوم نعود إلى التساؤل :

هل أن الأميركي يحس حقا ببشاعة وجهه؟

الواقع أن الأميركي ما شعر يوما بهذه البشاعة. وهو غير مستعد للاعتراف بها..

فالبشاعة والجمال ظاهرتان نسبيتان ...

الأميركي يمكن أن يكتشف بشاعته حين تساعده المقاومة المسلحة على تحقيق هذا الاكتشاف. ولما لم تكن هناك مقاومة جادة للحضور الأميركي في كل صورة فمن الطبيعي أن يكون الأميركي جميلا في نظر نفسه.

فالدنيا مقبلة على الأميركي ... كل شيء فيها يضحك له .. وهو جالس في قمة عالية لا تبلغه شكاوي الشعوب .. فإذا اتيح له أن يسمعها وجد مئات وألوفا من المتطوعين الذين يقدمون هذه الشكاوي على أنها صراخ الحاقدين .. وأنانيات المتعصبين.

وستمضي أيام كثيرة قبل أن يكتشف الأميركي بشاعة الوجه الذي يحمله .. إن وضعه الاقتصادي العسكري لا يسمح له بأن يرى شيئا غير مصلحته .. وبأن يشعر إلا بحقه في الحياة..

وما دام أهل هذا العصر يحاورون الأميركي بالموعظة ويذكرونه بحقوق الشعوب المغلوبة على أمرها فإنهم لم يبلغوا ما يريدون بلوغه.

فالأميركي بحكم موقعه لا يفهم لغة الوعظ والإرشاد .. إنها لغة غريبة تتحدث بها ألسنة غبية .. إن في ضجة مصانعه وصخب طائراته وهدير دروعه ما يخفي عنه كل الأصوات التي تنادي ببشاعته.

****

يكفي أن نستعرض تاريخ الصهيونية التي زرعها الأميركي في بعض ترابنا الوطني .. فإذا تذكرنا أن اسرائيل بدأت دولة عصابات في نظرنا ثم اتخذت صفة الفريق القانوني بشروط بعد حرب الخامس من حزيران ... ثم أصبحت الجارة الصديقة لأكبر دولة عربية تشاركها في بناء الحضارة .. أدركنا من ثم الحجم الحقيقي لحصيلة المعارك التي خضناها حتى اليوم ضد الصهيونية. إن أخوف ما نخاف أن يكون الحديث الباقي عن بشاعة الوجه الأميركي هو السلاح الوحيد الذي نواجه به الحضور الأميركي الصهيوني في المشرق العربي.

لقد زرعت دولة الصهاينة بفضل الأماني الكاذبة التي حفلت بها خيالات العربي .. ويبدو أن الوجه الأميركي الذي لبس لبوس الصهيونية باق فوق أرضنا ما دام أننا لم نقرر بعد أن نواجه خطر التحدي وأن نتصرف تصرف السادة فوق ترابنا الوطني.